تشير نظرية العقل إلى نظام سببي تجريدي يساعد الأفراد في تفسير وتوقع الأنماط السلوكية لشخص ما من خلال مراقبة الحالات العقلية المتعددة لهذا الشخص مثل اعتقاداته ونواياه ورغباته، وقد أصبح مقياس المعتقدات الخطأ للأداة المعيارية الأكثر قبولاً واستخداماً لقياس مستوى تطور نظرية العقل، فمن المتعارف عليه لدى علماء النفس المعرفيين، أن المعرفة تتمثل في ذهن الفرد بطريقة غير مطابقة تماماً لما هي عليه في الواقع الفيزيائي الحقيقي، وفهم المعتقدات الخطأ للآخرين، يقوم على أساس أن الفرد قد تشكلت لديه مواقف أو اتجاهات نحو تمثل العالم الخارجي كما يدركه الآخرون وليس العالم الحقيقي نفسه ، وعندما يستطيع الطفل معرفة أن الأفراد يسلكون بطريقة خطأ نتيجة وجود معتقدات خاطئة لديهم، فإنه يكون قد تمثل الحالة العقلية لديهم، وبالتالي يمكن القول بأنه قد تشكلت لديه نظرية عقل، أما عندما يسلك الأفراد بطريقة صحيحة وفقاً للواقع الحقيقي للأشياء، فإنه يصعب قياس مستوى نظرية العقل لعدم وجود اختلاف بين تمثيلات الطفل للعالم الحقيقي للأشياء، وتمثيلاته لمعتقدات الآخرين. إن قدرة الفرد على التنبؤ بسلوك الآخرين ورغباتهم وفهم التمثيلات المعرفية لذاته وللآخرين هو ما يسمى بنظرية العقل. (المصدر السابق نفسه).

ويذكر كلا من لويس وميشيل (1994) ان نظرية العقل تعرف على انها القدرة على تقديم استدلالات عن الاخرين والتنبؤ في سلوكهم وايضا عرفوها بأنها القدرة الادراكية التي تمكن من فهم الحالات الذهنية للأخرين يستعرض المؤلفان ست اسس رئيسية لنظرية العقل موضحه بالشكل التالي (الامام و الجوالده،2010: 24).

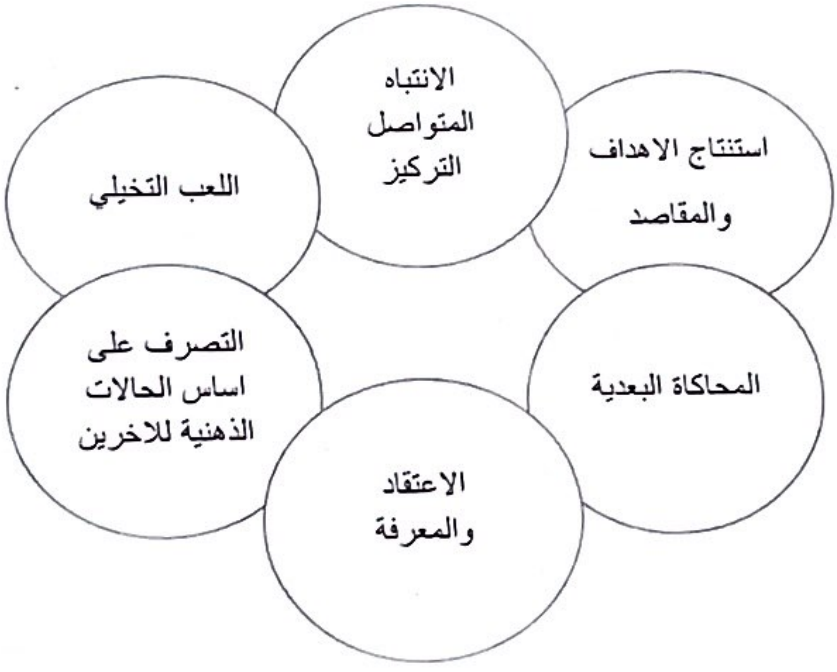

شكل يبين اسس نظرية العقل

- **أسس نظرية العقل :**

1. استنتاج الاهداف والمقاصد :يستطيع الاطفال الرضع في مرحلة مبكرة ان يكتسبوا عدداً من القدرات تساعدهم لمواجهة الحياة فهم يتأملون في الوجوه ويسمعون الاصوات وينظرون الى الافواه فهي بالنسبة لهم نظام تشفير شيء ما يتم استدعائه بنفس الظروف التي مرت بهم اثناء حدوث عملية التشفيرويحدث هذا بعمر (5-9) اشهر.

2. الانتباه المتواصل التركيز : ان الانتباه المتواصل يظهر مابين (18-24) شهر ويعتبر الطفل في عمر(1-2) سنة تركيز نظر الاخرين اتجاهه بمثابة مصدر معلومات اساسي يضاف الى رصيده ، والاطفال في هذه المرحلة يرتكبون اخطاء لا يستطيع لايستطيع الاخرين رؤيتهم احيانا اخرى بقصد لفت انتباه الكبار على جانبين اولهما لفت الانتباه الذاتي والثاني لفت الانتباه لشيء موجود في البيئة المحيطة وهو الانتباه الخارجي وهذه تعتبر عملية تمهيدية لاحداث عملية تفاعل مع الاخر.

3. اللعب التخيلي: يبدأ عند الاطفال في عمر(18-24) شهر فاللعب التخيلي يشمل فك التربط بين اللعب التخيلي (هذا طفلي) الى الادراك الحسي (هذه لعبتي)

4. التصرف على اساس الحالات الذهنية للاخرين :في عمر مابين (2-3) سنوات يطرأ تطور حقيقي على الاطفال اذ يبدؤون بألفتهم الواضحة الملكية بعض الاشياء التخيبلية كأنها مقابلة الاشياء مادية وعلى مايبدوا فأن فهمهم ان الحالات الذهنية مثل الرغبة والمعرفة حالة شخصية خاصة ، وهذا المكونات نوعية غير خاضعة للملاحظة المباشرة .

5. الاعتقاد والمعرفة : يظهر الأطفال فهم ضمني لطبيعة المعرفة والاعتقادات التي يتمثلوها قبل أن يتمكنوا من التعبير عنها أو فهمها بشكل محدد، فالمعرفة عملية تراكمية قابلة للتغيير، ولفحص الاعتقاد الخاطئ عند الأطفال حيث انه مفتاح الاختبار لنظرية العقل و ظهور الفهم الخاطئ للاعتقاد قد يكون إما ضمني أو صريح، وتوجد قاعدتان أساسيتان لفهم الاعتقاد الخاطئ عند الأطفال: هما مهمات تغيير الموقع ومهمات محتويات غير متوقعة

6. المحاكاة البعدية : في هذه المرحلة يكتشف الطفل حدوده فيقارن نفسه مع الآخرين ويكتشف أن كلا من أقرانه يتميز عنه بشيء ما، في حين انه كان هو الأفضل في عيون والديه ، وعندما تعرض لأقران جدد فتأثرت شخصيته تأثراً كبيراً ومن الطبيعي أن تتكون لدية اعتقادات متباينة، فمن الطبيعي على الرغم من أن طفل الثلاث سنوات قادر على إظهار الأثر الضمني لحالات اعتقاد الآخرين إلا أن هذا لا يعني أنه يفهم طبيعة المحاكاة للاعتقادات والمعرفة، والاعتقاد يعزى إلى مدى ما يعرف عن الحالات الذهنية المعرفية للآخرين، إنها المحاكاة البعدية التي تمكن الأطفال من اجتياز لمهمات الاعتقاد الخاطئ، التي يقيسها الاختبار المقنن. (الامام والجوادله، 2010 : 25-30).

- **النظريات التي فسرت نظرية العقل**

أكد العديد من المؤتمرات العلمية والدوريات العلمية المتخصصة في دراسة الطفولة والعديد من المقالات أن الأطفال في المراحل الأولى من العمر يعرفون أكثر بكثير مما يعتقده بياجيه، الذي سادت نظريته لأكثر من نصف قرن في مجال النمو المعرفي ، هناك عدة نظريات شكلت ما يسمى بمرحلة ما بعد بياجيه وهي النظرية الترابطية والنظرية الفطرية ونظرية النظرية ونظرية السياق الاجتماعي لـ فيجوتسكي Vygotisky

وقد اهتمت هذه النظريات بتفسير نظرية العقل على النحو التالي:

1. النظرية الترابطية CONNECTIONISM

ترى هذه النظرية أنه من الممكن تفسير سلوك الإنسان على أنه ترابط بين مثير (STIMULUS) واستجابة (RESPONSE) دون الحاجة إلى متغيرات وسيطة كالعقل أو الفكر أو الوجدان، على اعتبار أن هذه المفاهيم غامضة وغير قابلة للملاحظة والقياس المباشر، ورغم نجاح النظرية الترابطية في وصف التغير في السلوك البشري، إلا أنها فشلت في تفسير الكفايات الفطرية المخزنة لدى الطفل والتي تمكنه من اكتساب ثقة المجتمع الذي يعيش فيه، فتطور قدرة الطفل على تشكيل روابط يعني ضمناً تطور القدرات العقلية للطفل حتى يتمكن من تشكيل هذه الروابط..(عيسى و محمد ، 2011 : 188).

2. النظرية الفطرية NATIVISM THEORY: حيث يرى فورد (1976) ان الدماغ مكون من وحدات معالجة متخصصة تعمل بأستقلالية عن بعضها البعض وان هذه الوحدات محددة وراثياً عبر الجينات وان لكل وحدة معالجة عملياتها ومدخلاتها الخاصة بها (الامام و الجودله، 2010: 43).

3. نظرية السياق الاجتماعي لفيجوتسكي VYGOTSKY THEORY

يرى فيجوتسكي أن جذور العمليات العقلية العليا تكمن في العمليات الاجتماعية، وأنه لا يمكن فهمها إلا من خلال الأدوات والإشارات التي تتوسطها، وقد عرف التوسط على أنه قيام الفرد بتعديل الموقف المثير كجزء من الاستجابة له، ويرى فيجوتسكي أن بنية وممارسات العمل المنظم اجتماعياً توفر السياق الذي يتصرف الناس وفقاً له، وبالتالي الطريقة التي يفكرون بها، وأن اللغة عامل أساسي للتوسط بين الفرد والمواقف البيئية الاجتماعية، وأن العمليات العقلية تحدث من خلال تذويت الأدوات السائدة في الثقافة، ويرى فيجوتسكي أن الكلام المتمركز حول الذات يمثل تحولاً يقوم فيه الأطفال بفصل وعيهم الخاص (عيسى ومحمد ، 2011: 189)

عما يدور حولهم في عالم الراشدين، ويحدث هذا عندما يصبح الطفل قادراً على الفصل بين حالته العقلية وحالة الآخرين وهي المرحلة التي تتبلور فيها نظرية العقل لدى الطفل .

4. نظرية النظرية THEORY OF THEORY:

من بين علماء النفس التنموي الذين دافعوا عن نظرية النظرية هم (جوزيف بيرنر و أليسون جوبنيك و هنري وليلمان و اندروا ميلتزوف) انهم يسعون الى تطبيقه على الاطفال الصغار الذين ينظر اليهم على انهم علماء صغار يشكلون ويراجعون تفكيرهم حول المجالات المختلفة بنفس الطريقة التي يفعلها العلماء انهم يجعون الادلة ويدونون الملاحظات ويغيرون نظرياتهم بطرقة تشبه العلوم الى حد كبير انهم يولدون نظريات ليس فقط حول الظواهر الفيزيائية ولكن ايضاً حول الحالات العقلية غير قابلة للملاحظة مثل الاعتقاد والرغبة ، يقوم الاطفال بالانتقال من النظريات البسيطة للظواهر الى النظريات اكثر تعقيدا (Eric, Richardv and Stephen. 2012: 3) .

تتبع تسمية النظرية بهذا الاسم من كونها ترى أن للأطفال نظريات خاصة بهم. تجمع هذه النظرية بين العناصر الإيجابية في النظريات السابقة من حيث نظرتها إلى النمو والتطور المعرفي واللغوي عند الطفل، فهي ترى أن الأطفال يتمتعون بقدرات فطرية عالية لاكتساب اللغة والمعرفة، وفي الوقت ذاته يحدث تغير نوعي في أنماط سلوكهم مع مرور الوقت بفعل المتغيرات البيئية والسياق الاجتماعي الثقافي الذي يعيش فيه الأطفال، يرى منظروا نظرية النظرية أن نظريات الأطفال حول العالم تحتل مكاناً قوياً في نفوسهم ويتمسكون بها انفعالياً بدرجة عالية، حيث يشعرون بالضيق والألم إذا اكتشفوا أنها خاطئة، ويشعرون بالراحة والسعادة إذا اكتشفوا أنها كانت صائبة، كما يرى هؤلاء المنظرون أن النظريات التي يطورها الأطفال عن العالم حولهم تكون خطأ في البداية، ولكن مع مرور الزمن يقوم الأطفال بتصحيح نظرياتهم الخطأ بالتدريج، ويبذلون جهداً لجعلها منطقية وذات معنى من خلال التعاون مع الأشخاص الآخرين في المجتمع الذي يعيشون فيه(عيسى ومحمد ، 2011: 190).

- المنهج النمطي – لنظرية العقل : في منصف الثمانينات وجد محققون اخرون ادلة تدعم فكرة مختلفة تماماً نموذج لاكتساب (TOM) هذا هو النموذج النمطي الذي يتكون من مكونين رئيسيين : اولاً في حيث ان منهج الطفل – العلم يدعي ان التفكير العقلي يستخدم المعدات المعرفية العامة للمجال فأن النهج النمطي يفترض واحدا او اكثر من الوحدات الخاصة بالمجال والتي تستخدم تمثيلات وحسابات خاصة بالمجال العقلي .

(Eric, Richardv and Stephen. 2012: 5).

مكونات و استخدامات نظرية العقل

يضم مفهوم نظرية العقل عددا من المكونات و كذا الاستخدامات

- **مكونات نظرية العقل**

تتكون نظرية العقل من ثلاثة جوانب أساسية هي:

أولا: الحالات أو التمثيلات العقلية (Mental Representations) : وترتبط بمفاهيم تشبه القانون أو القواعد العامة، وهي غير مستمرة ويختفي العديد منها مع الوقت، وتظهر على شكل أفكار ومعتقدات وأحلام وتخيلات و مفاهيم دلالية

ثانيا : المعتقد الخاطئ (False Belief):و يرتبط بالقدرة على أخذ معرفة الآخر وتوقع أن الآخر الذي نتعامل معه يمتلك بعض المعلومات حتى لو كانت هذه المعرفة أو الاعتقادات مناقضة للمعرفة التي يمتلكها.

ثالثا: المظهر الحقيقي (Appearance - reality):هو قدرة الفرد على معرفة حقيقة الشيء حتى وإن عرض عليه بمظهر مختلف.

- **استخدامات نظرية العقل**

تتعدد استخدامات نظرية العقل لدى الفرد، و تتمثل فيما يلي:

- إضفاء معنى على السلوك الاجتماعي: حيث تعد قراءة العقل أسهل طريقة لفهم الآخرين، إذ يقوم الشخص بعزو الحالات العقلية للآخرين وتقديم صياغة لتفسير السلوك الحالي والتنبؤ بالسلوك التالي.

- إضفاء معنى على التواصل: يقصد به فهم رموز الحديث مثل التهكم والسخرية والاستعارة والدعابة، حيث من يقوم بالحديث لا ينوي أن يؤخذ كلامه بشكل حرفي وعلى المستمع أن يذهب لأبعد مما يسمع حتى يستطيع أن يفترض الحالة العقلية للمتحدث.

- الخداع: حيث نجعل الطفل يعتقد الشيء الحقيقي ولكنه في الواقع زائف، فالطفل العادي يبدأ في الانخراط في الخداع بعد فهمه للاعتقاد الخاطئ من سن أربع سنوات.

- القدرة الطبيعية على قراءة العقل: والتي تمنح الفرد القدرة على استنتاج كيفية تفسير الأشخاص للأحداث واستنتاج الانفعال فالطفل ذو الثلاث سنوات يستطيع فهم انفعال شخص أخر في البيئة المحيطة، وعند خمس سنوات يستطيع فهم الانفعالات التي تتولد من معتقدات الآخرين.

- الوعي بالذات أو التأمل الذاتي: فالطفل يستطيع نسب الحالات العقلية الخاصة بالآخرين لذاته ويمكنه بعد ذلك التأمل والتفكير في حالاته العقلية الخاصة به، فالطفل ذو الأربع سنوات ينجح في تمييز وإدراك أسباب السلوك الذي يقوم به(

المصدر السابق نفسه : 808-809)